تحت ظلال التوت

أو

ساعة في الريف

بقلم : الاستاذ نجيب م . ع

هناك تقيم البساطة ؛ ويستولي سلطانها على النفوس

هناك تقيم الحرية المطلقة التي ينشدها قلب الواجد البائس فلا قلب يضطرم تحت ذلك السماء الصافي ؛ والأفق الجميل العاري من ثياب الغموم السوداء ، التي تبعثها شرور البشر الى سماء النفس الشاعرة .

هناك تحل السذاجة ، سذاجة قلب الصبي في قلب الفلاح وفتاته ، فيتمتع بالحرية المطلقة تحت ظلال التوت والصفصاف ؛ وان كانت جراحات كفيه ، تشير الى جراحات قلبه من اتعاب هذه الحياة التاسية ؛ ويستظل تحت ذلك السماء الصافي ، ويكحل طرفه بزرقة الافق العاري ، وان نشبت مخالب الاستبداد في قلبه فان كل ذلك يتضاءل امام شرر الشرور الذي يرمي به التقشف الكاذب قلوب البائسين .

هناك كلا يتطلبه قلب البائس من متع الحياة الجميلة ، وبساطة العيش اللذيذة التي شاءتها الطبيعة للروح الشاعر عند ما القته على ساحل الوجود ، ولكنها سلطت عليه تلك الشرور ، فساءته سوء العذاب ، فكانت جناية لها عليه ، تصغر ازاءها اعظم جناية

فر ذلك الروح الشاعر من مخالب الشقاء ، وانياب البؤس والعناء ، ريثما يضمد جراحاته تحت ظلال التوت ؛ تحت سماء الحرية حرية الأرياف بمتع الحياة البسيطة ، والجمال الساذج ، والروح الشاعر يقرأ في ذلك أسطراً ؛ لم يهتد اليها سواه ، يقرأ في ذلك طهارة السرائر ونزاهة القلوب ، وعفة الضمائر ، وفي الجمال الساذج اسطر الافتتان ؛ وسوراً من كتاب الصبابة ، كما يقرأ اسطر اللوعة ؛ وماهي إلا لوعة الفراق .

اخذ ذلك الروح يمتع طرفه بزرقة الافق العاري ؛ وقد القت الشمس عليه ثوب النضار ، بما كسته من اذيال السحب الذهبية قبيل الغروب ، وقد مثلت تلك الاذيال كلا في الارض من جبال ، وسفوح ، واودية ؛ وروابي ؛ كما القت ثوب النضار على الاعشاب والحقول يشبه انعكاس اشعة الشمس الوردية ؛ بالوان زاهية على مازان وجه الارض .

ورأيت طفلة الفلاح ترعي ماشية أبيها ، ورأيت فتاة الفلاح جاءت تحمل لشقيقتها عصورها (١) فاستقبلتها الطفلة باسمة ، تسائلها عن ابيها ؛ هل أتى لها بثوب العيد ؟ وعيد الأضحى قد اظلتنا أيامه ، فاعتذرت الفتاة لاختها بان اليوم يوم السقي ؛ وذهب ابوك ليسقي مزرعته ؛ وفي الغد يبكر الى السوق . فيأتيك بثوب العيد ، فانزعجت الطفلة ، وكيف يكون الجمال الساذج حين يكرثه الانزعاج ؟ ! . لم يزد القلوب الا افتتاناً به .

اخذت الفتاة تهون على شقيقتها ما كانت تنظره بعين السخط ؛ لان أباها اخلف معياده لها ، اما الفتاة فقد استعظمت غيض شقيقتها ، وما استطاعت كتمان ماحل بها من الحزن لحزن الطفلة ، بل ظهر اثر ذلك على قسمات وجهها ؛ وما هو الا امثولة للجمال الساذج ، وقد زاده ذلك الا انزعاج روعة وفتنة ؛ فهام القلب في تلك الساعة لايدري ؟! . ولم تطل لحظاته اليه .

والجمال الساذج فاجأه ذلك الجمال الساذج بالهيام ، والى اين المصير وماذا يحوط به ؟ فلا يحوط به الاجمال الافق ، وجمال الطبيعة ، في الانسان ، وكل منها باعث للهيام ؛ فكيف اذا احاط بالقلب الشاعر كل مافي العالم من جمال رائع جذاب ؟ ! افهل تراه يملك عواطفه عن الهيام في اودية ذلك الجمال ؟ ولكن هيامه لم يكن حائلا عن العطف على ذلك القلب الصغير وعلى مازرت عليه ازرار تلك الفتاة ، ولم تزر الاعلى قلب مثال السذاجة .

لم يكن للروح الشاعر في تلك الساعة غاية الا ان يقترب من ذلك القلب الصغير الذي كتبت عليه الاقدار ان يكابد اتعاب الحياة ولما يجتاز دور الطفولة ، لعله أن يرفع مافي سماء نفسها من غيوم الكآبة ؛ ويبدلها بانوار السرور .

— فلما اقتربت منها ؛ قلت من أبوك ؟ ياطفلتي العزيزة !

— أبي فلان

(١) يقابله الفطور عند الصباح ؛ وهي أكلة اعتاد الاطفال عليها

— واين هو الآن ؟

— في المزرعة ولايأتي الابعد الغروب بساعة

— هل يأتي الى ديوان الزعيم ليرتاح قليلاً ويشرب القهوة؟

— لاياعم! لم يذهب لأنه لم يأت الاوقواه خائرة من الا تعاب التي يكابدها من عمله الشاق .

— ياطفلتي ! الغالية ، لقد اوصاني ابوك منذ ايام بأن اشتري لك بما تزدان به الاطفال في العيد ؛ واخرجت لهـا منديلا كنت احمله معي ؛ وقلت لهـا : هاهو المنديل فخذيه ، اخذته الطفلة وهي باسمة ابتسامة لم تزد جمالها الساذج الا فتوناً ، ولهذه الابتسامة مفعول آخر في قلب شقيقتهـــا الفتاة ؛ هو تـري الانكماد والكابة عنه .

ولقـد احببت ان أقف على بواعث ماحفى بقلب الفتاة فقلت لهـا : اراك قد ساءت هذه الطفلة في كآبتها وسرورهـا ؛ ولمـاذا ؟ .

قالت (ياعم ! ان هذه اختي ، وقد ماتت أمنا ايام ولادتها ، وانا التي قمت بتربيتها ، فكنت لها أماً وشقيقة كما تراني) وهذا كلما أتمناه ، ولم اتمنى الا أن احول كآبتها الى سرور ، وأراني في تلك الساعة سعيداً لا ني ادخلت على الصغيرة المحبوبة التي شاءت لهـا الاقدار القاسية ، أن تفجعها بأمها الحنون ولمـــا تمض ايام ولادتها ؛ كما كتبت عليها الحياة أن تذيقها مرارة الخسف ولما تقض دور الطفولة ، الذي يجب أن تتمتله مع اترابهـــا في اللهو واللعب ، بل خصت قلبها الصغير بقسط من اتعابها ، لتمتص دمه في خدمة مواشي ابيها ، وتقـدم الحياة نتاج اتعابه طعمة لذوي السيادة عليه ، وللعبودية حقوق تجب رعايتها . ولكن اسياده لم يحفلوا بهذا الواجب، مع ماهو مورد حياتهم ؛ ومصدر سعادتهم .

زين قلبي بين عاملين ، عامل الفتون بمـا احاط به من الجمال الساذج وعامل الألم لذلك القلب الصغير الذي مارحمته الاقدار لصغره اذ سمعت غنـــاء الرعاة وما ابدع ذلك الوقت ، فقد سقط قرص وبزغ آخر مكانه ، واذيال السحب بعد لم تذهب حمرتها الذهبية ، والنسيم العليل يحكي قلب الواجد الذي أذاقته الحياة صاب الفراق رقة واعتلالا ، وحفيف الاوراق وغناء السواقي والرعاة ؛ تشكل نغمات موسيقية متنوعة ، تيقظ القلب السالي الى حبيبه ؛ فكيف بالقلب الشاعر مع مامثل امامه كل مافي العالم من جمال ساذج ؟ ! وهو لم يعرف السلوان ، ولم يدر أخلق ام بعد لم يخلق السلوان ؟ تراه يمثل المجنون بكل او ضاعه واطواره لفتونه بحبيبه ، ونزوعه في تلك الآونه الى رؤياه .

وتراه يردد في داخله ، ماخلق الانسان الا ليهوى وليعشق ، واذا لم يكن لقلبه شعوره واحساسه لم يعرف معبوده ، وهل له معبود غير الجمال ؟ فكيف يتعرف بمعبوده اذا كان يمثل الحيوان بعقليته ، والجمـاد باحساسه ؛ واذا مثل الحيوان والجماد لم يتذوق متع الحياة البسيطة تحت سماء الحرية المطلقة ، تحت ظلال التوت وبين الارياف ، كما هو لم يشعر بشرر الشرور المتطاير من مدينة الاموات ، ولم يدركم قلب تفتك به في كل شروق شمس وغروب شمس ؛ لم يقترف أية جريمـة لهـا غير ان شعوره له واحساسه ، وارانى سعيداً في هذه البعدى عن مدينة الاموات ؛ وما اشقى من يضطرم صدره تحت سمائها ! ! ! .

البيان : العدد ١٠ التاريخ ١٥ /١١/ ٩٤٦

اعلان

كل من يدعي بحق او له علاقة بارض الدار وابنيتها ذات ت ١٨٩٩ الكائنة في محلة براق الأمير غازي في النجف البالغة مساحتها ٩٣/٧٠ متراً مربعاً المحدودة « الشمال الشرقي دار الحاج عباس بن فليح ت ١٨٩٧ الشمال الغربي طريق العام وتتم بدار تحت ادعاء حنه بنت خوعة ت ٣٠٠٢ الجنوب الغربي الدار المذكورة ت ٣٠٠٢ وتتم بدار يوسف بن جبر ت ١٩٠١ الجنوب الشرق دار تحت ادعاء محمد ت ١٩٠٠ » عليـه ان يراجع هـذه الدائرة مستصحباً ما لديه من الاوراق المثبتة والمستمسكات الرسميـة من تأريخه لمرور ثلاثين يوما والا ستسجل الدار المذكورة تفويضاً وتصحيحاً باسم صاحبة المنشئات العراقية زكية بنت طاهر بن حمود ولأجله بادرنا باعلان الكيفية . ٤٦/١٠/٢٤

٢—٣

مامور طابو النجف